جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية
قسم **علم الاجتماع**
مقياس : **الانثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية**

السنة الدراسية : 2008/2007
السنة الثانية علم اجتماع
الأستاذة : **م. مناصرية**

****

المحاضرة 04

****

أقسام الإنثربولوجيا وفروعها

معروف لدى المختصين أن الإنثربولوجيا تنقسم إلى قسمين أساسيين(*)، ولكن هذا التقسيم يختلف من بلد إلى آخر، مثلا في بريطانيا تقسم الإنثربولوجيا إلى إنثروبولوجيا طبيعية(**)، وإنثروبولوجيا اجتماعية(***)، وتعتبر الثقافة نفسها هي نتاج العلاقات الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي الذي يعتبر من محاور اهتمامها، في حين تقسم الإنثروبولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية إلى إنثروبولوجيا طبيعية وإنثروبولوجيا ثقافية(****)، وهذه الأخيرة تعتبر الإنثروبولوجيا الاجتماعية، فرع من فروعها، كما تضم إليها كذلك فرع الإثنولوجيا المستخدم كثيرا في فرنسا.

أما في فرنسا فالأمر يختلف، فالأنثروبولوجيا تعني مباشرة الأنثروبولوجيا الطبيعية فقط، أما الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فيطلق عليها "علم الاجتماع المقارن" ويأخذ مصطلح الأثنولوجيا مكان الأنثروبولوجيا الثقافية، والتي مازال بعض العلماء يستخدمونها حتى في أمريكا.

هذا الاختلاف في التسمية تبعه اختلاف في موضوعات الاهتمام، ففي الوقت الذي تهتم به الأنثروبولوجيا الاجتماعية بموضوعات كالبناء الاجتماعي والنظم والعلاقات الاجتماعية، نجد الأنثروبولوجيا الثقافية تهتم أكثر بموضوعات الأنماط والنماذج والرموز والصيغ الثقافية والتقنيات اللغوية والأسطورية الثقافية.

و انطلاقا من هذا الفهم نحاول شرح كل قسم على حدا بالتفصيل في النقاط التالية :

أولا: الإنثروبولوجيا الطبيعية : Anthropologie physique

أو البيولوجيا، وتدعى أيضا (الأنثروبولوجيا الجسدية)، ويرتبط هذا القسم بالعلوم الطبيعية وخاصة علم التشريح Anatomie وعلم وظائف الأعضاء Physiologie وعلم الحياة Biologie، ميدانها الرئيسي إذن دراسة الإنسان بوصفه كائنا حيا، وبخاصة من حيث نشأته واكتسابه صفات طبيعية ميزته عن بقية الحيوانات وتطوره حياتيا وانقسامه إلى عناصر Race أو سلالات(*)، والصفات الطبيعية الخاصة بتلك العناصر والسلالات، وتوزيعها على الكرة الأرضية، ومن ميادين دراستها مقاييس حجم الإنسان، واتسعت دراسات الأنثروبولوجية في الخمسين سنة الماضية فصارت تشمل إضافة إلى ما تقدم ذكره دراسة الوراثة وفئات الدم.

و تعتمد الأنثروبولوجية الطبيعية أو الفيزيقية على علمي (الحفريات البشرية) و(أثار ما قبل التاريخ).

(*) يقول علماء الإنثروبولوجيا أن الإنسان يتكون من شقين مكملين لبعضهما: المادة (بيولوجي) والناتج الإنساني غير المادي (اجتماعي ثقافي)، فإن الإنثروبولوجيا بدورها تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما الإنثروبولوجيا الطبيعية والإنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية.

(**) الإنثروبولوجيا الطبيعية Anthropologie physique هي من أقدم فروع الإنثروبولوجيا وقد ظهرت بشكل متميز في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تحت تأثير المدرسة الداروينية (نسبة إلى داروين العالم البيولوجي الشهير وصاحب نظرية التطور) ونشأ هذا العلم نتيجة الجمع بين علم التشريح والأبحاث المنسقة التي أجريت في علم الحيوان خلال تلك الفترة وكان في مستهله علما وصفيا ، فلم يبد إلا اهتماما عرضيا بمشكلة الأصول العنصرية والقوى المحركة للتباين البشري.

(***) استخدم اصطلاح الإنثروبولوجيا الاجتماعية Anthropologie sociale في أنجلترا لأول مرة عندما أطلق على أول كرسي جامعي لهذا العام، وقد شغله العلامة فريزر J.Frazer وأخيرا هذا الاصطلاح لتمييز هذا التخصص عن تخصص الإنثروبولوجيا الطبيعية الذي كان يطلق عليه تجاوزا اصطلاح إنثروبولوجيا، اتضح مفهوم هذا العلم بوضوح عندما شغل ذلك الكرسي العلامة، راد كليف براون Radcllfe الذي حدد موضوعه على أنه العلاقات الاجتماعية والبناء الاجتماعي.

(****) أما الإنثروبولوجيا الثقافية Anthropologie culturelle ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية عام 1910 على يد العلامة فرانس بواس F.Boas ، حيث أعطى أهمية خاصة للموضوعات والظواهر الناقلة للثقافة.

(*) السلالة Race في علم الإنسان مصطلح خاص يدل على جماعة من البشر يتصفون بصفات وراثية معينة تميزهم وتفصلهم عن غيرهم من الجماعات البشرية، ويفضل البعض استخدام كلمة الجنس Genre-Sexe بدلا من السلالة وهذه الكلمة مشتقة من كلمة Genus اللاتينية وهي قريبة من الكلمة الفرنسية Gens التي تعني العشيرة أو القوم أو الناس، ويستعمل الغربيون كلمة race للاستدلال على السلالة، وتعني السلالة الوراثة والتسلسل الإحيائي ، فيقال أن فلانا من سلالة عدنان أو سلالة قحطان أي انحدر من هذا الأصل أو ذاك الأصل .

و تقسم الأنثروبولوجية الطبيعية إلى الميدانين الرئيسيين التاليين :

1-ميدان دراسة التطور الإنساني والإنسان الحفري:

هناك من يسمي هذا الميدان بفرع الحفريات البشرية (paleontology) ، و المهمة الأساسية لهذا الميدان هي محاولة استعادة ما نجهله عن الإنسان البائد بالكشف عن بقاياه الحفرية، بالكشف عن ظهوره على سطح الأرض ، وكيف اختلفت الأجناس البشرية بفصائلها و سلالاتها و أنواعها ، ومحاولة تحليل هذا الكشف من أجل معرفة الأسباب التي دعت إلى حدوث تغيرات مرحلية في الهيكل العظمي والنسيج المركزي العصبي ابتداء من الشكل والصفات التي تميز الرئيسيات إلى الشكل والصفات التي تميز الإنسان المعاصر، أي تدرس الإنسان العضوي في نشأته الأولى، وفي تطوره من الرئيسيات حتى اكتسب السمات والخصائص السلالية التي تميزه وتصنف سلالاته وأجناسه وبمعنى آخر الخصائص الحالية والمنقرضة.

2-ميدان دراسة الصفات الطبيعية للإنسان :

ويسمى أيضا هذا الميدان بفرع الأجناس البشرية أو الأجسام البشرية (somatology)، ويدرس هذا الجانب من الأنثروبولوجية التغيرات البيولوجية بين مجموعات الإنسان في أقاليم الأرض الجغرافية على أساس تشريحي وبالمقارنة مع الهياكل الموجودة في المقابر الحديثة زمنيا ويؤدي ذلك إلى تصنيفات للبشر على أسس دراسة قياسية ومورفولوجية (المظهر الشكلي العام) لصفات طبيعية معينة ، بالإضافة إلى دراسة الوراثة، أي تهتم بدراسة الإنسان من حيث سماته الجسمية والتشريحية مثل شكل الجمجمة وارتفاع القامة ولون البشرة ونوع نسيج الشعر وشكل الأنف ولون العينين وحجم فكوك الوجه والطول والعرض والوزن فالأنثروبولوجية الطبيعية على هذا النحو تدرس الإنسان ككائن بيولوجي من حيث تكوينه الجسدي وتطوره بواسطة الوراثة، وبواسطة سلالاته القديمة والحديثة ودراسة توزيع السلالات(**) على ظهر الأرض.

إنّ التصنيفات العرقية التي طوّرها علماء الأجناس البشرية، لا تزال تعتمد في المقام الأوّل، على خصائص سطحيّة بسيطة : كلون الجلد وشكل الشعر. وفي الآونة الأخيرة ، أخذ الاهتمام يتحول إلى فروق أقلّ وضوحاً وأوثق ارتباطاً بالمشكلات التي نواجهها، كالفروق بين أنواع الدم وبين الأجهزة العضلية وغيرها. ومع بداية الستينات من القرن العشرين، سار علماء الأجسام شوطاً أبعد من ذلك، إذ بدأوا يدرسون الفوارق بين الفئات المختلفة من حيث سرعة النمو، وسنّ النضوج الجنسي، ومدى المناعة ضد الأمراض. .(لينتون، 1967، ص 18-19) ويمكن القول : إنّ الكثير من اكتشافاتهم في هذه الميادين، قد يكون ذا قيمة علمية مباشرة، ولا سيّما في الدراسات الأنثروبولوجية.

و قد أثبتت الدراسات العلمية في هذا الميدان أن السلالات البشرية الحالية تنتمي كلها إلى نوع بيولوجي واحد هو ما نسميه "الإنسان العاقل" Homo sapiens .

- وهو تخصّص آخر هام في علم الأنثروبولوجيا العضوية، ويبحث في الرئيسات : علاقاتها مع بيئاتها، تطوّرها، سلوكها الجماعي.

(**) أكثر السلالات الجغرافية شيوعا هي تلك التي تقسم الإنسان المعاصر إلى قوقازي ومغولي وزنجي، على أساس اختلاف واضح في لون البشر، وشكل الشعر وصفات أخرى جوهرية في التكوين الجسدي وشكل الوجه والرأس والعينين.

الصفات العضوية للإنسان وعروقه :

يتصف الإنسان بميزات عضوية خاصة، لا يشاركه فيها إي من الكائنات الحيّة الأخرى، وتتمثّل هذه الصفات في الجوانب التالية:

- انتصاب القامة والسير على قدمين اثنين .
- تركيب الرأس من حيث شكله ومكوّناته .
- تركيب الجسم، من حيث شكله العام ومقاييس أطرافه(الذراعين والساقين) ومدى تناسبهما مع الأعضاء الأخرى في الجسم .
- محدودية المساحات التي ينبت فيها الشعر، وتحديد أماكن وجودها.
- فترة الطفولة الطويلة، مقابل قصرها عند الكائنات الرئيسة الأخرى (الثدييات) .

وعلى الرغم من الصفات الجسميّة العامة المشتركة بين البشر، إلاّ أن ثمة فروقات في تكوين بعضها وخصائصها، والتي تؤثّر إلى حدّ ما ببنية الشخصيّة الإنسانية، ولا سيّما من النواحي النفسيّة والسلوكية .

وكان من نتائج انشغال علماء الأنثروبولوجيا الجسمية بمسألة العرق، أن اكتسب هذا المفهوم (النوع أو العرق) رسوخاً أعاق تفكير الباحثين عن الكائن البشري. فالأصناف العرقية البشرية ظلّت – إلى عهد قريب _ تعتبر كيانات ثابتة نسبيّاً، وقادرة على الصمود أمام تأثيرات البيئة أو قوى التغيّر الفطرية.

ويلاحظ أنّ التطرّف في تمجيد فكرة (العرق) أدّى إلى فرض عدد محدود من التصنيفات الصارمة على بني البشر الذين يمتازون بتنوّع لا حدّ له، وأدّى بالتالي إلى زجّ الأفراد في هذه التصنيفات، بصورة تطمس صفاتهم الأصلية الخاصة. ولو أنّ عملية التصنيف لوحقت ضمن المجالات المناسبة لها، ومن أجل الأضواء التي تلقيها على تطوّر الإنسان، ولو أنّها أيضاً اقترنت بإدراك طبيعتها – شبه الاعتباطية- لكان من الممكن حصر نتائجها في استعمالات عملية مشروعة .

ولكنّ هذه العملية – ولسوء الحظّ- تحمل في طيّاتها نزعة تلقائية إلى المبالغة .. وما ذلك إلاّ لأنّ طبيعة التصنيف نفسها، تقتضي اعتبار الشواذ والأشكال المغايرة، كما لو أنّها من الظاهرات التي تستحقّ الاستهجان. ومهما يكن الأمر، فإنّ هذه الأشكال المغايرة، هي نفسها التي اكتسبت دلالة خاصة في التطوّرات الأخيرة لعلم البيولوجيا.

واستناداً إلى هذه الاختلافات الشكلية وأيضاً السلوكية، فقد جرى الاتّفاق بين علماء الإنسان على تقسيم البشر إلى ثلاثة أجناس أو عروق رئيسيّة، وهي:

- **العرق الأبيض (القوقازي) :** يمتاز هذا العرق بصفات خاصة في: (علو الأنف ودقّته، اعتدال الشفة وبروز الفكّين، استقامة العينين، تموّج الشعر وتجعّده، وكثرة شعر الجسم وكثافة اللحية..)

  ويندرج ضمن هذا العرق : العرق الهندي – عرق البحر الأبيض المتوسط، العرق الألبي (وسط أوروبا)، العرق النوردي (الإيرانيون، الأفغان، البربر، المصريون، والأثيوبيون).
- **العرق الأسود (الزنجي) :** يمتاز بالأنف المتوسّط والشفة الغليظة، والفك البارز بشكل كبير. وكذلك بالعيون المستقيمة والشعر القصير الأشعث، والرأس المستطيل.

  ويمثّل هذا العرق : زنوج أمريكا، زنوج أفريقيا الوسطى، والحاميون النيليون في مصر .
- **العرق الأصفر (المنغولي) :** يمتاز هذا العرق ببشرة معتدلة الدكنة، ويتراوح بين اللون النحاسي البنّي كما عند (الهنود الحمر)، واللون الأصفر الفاتح كما عند (الصينيين الشماليين). كما يمتاز هذا العرق باستقامة الشعر ونعومته - إلى حدّ ما -على الرأس، وقلّة كثافته على الجسم والذقن .

ويمثّل هذا العرق : المغول الأصليون (الأسكيمو، اليابانيون، الكوريون، والصينيون) وكذلك، الأتراك والأندونيسيون، والهنود الأمريكيون، وسكان التيبت.

إنّ هذه الاختلافات الشكلية الظاهرة بين العروق (الأنواع) الثلاثة، هي العوامل الأساسية التي يعتمد عليها في الدراسات الأنثروبولوجية، للتمييز بين الأفراد والمجتمعات.